

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة المؤمنون، وصلنا في الدرس الماضي في سورة هود إلى قوله تعالى :

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُنزَلُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ حَمِيمٍ ﴿٢٨﴾

سورة هود

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ

المؤمن في سعادة عميت على غيره :

أي أن هذه الرحمة لا يعرفها إلا من ذاقها، كما أن العلماء يتمتعون في الدنيا بسعادة لا يعرفها الأغنياء، فإذا أنكر الأغنياء على العلماء سعادتهم فمن قبيل الجهل، هذا في الدنيا، ولكن الأنبياء والصدّيقين وكبار المؤمنين يتمتعون بسعادة لا يعرفها إلا من ذاقها، فإذا نطقوا بها أنكرها عليهم أهل الدنيا ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ أنتم لا تعرفونها، ولم تدققوها من قبل، ولا تعرفون حقيقة الإيمان، وحقيقة السعادة التي يتمتع بها المؤمن ﴿أُنزَلُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ حَمِيمٍ﴾.

وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّلاَثِقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾

سورة هود

وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ

#### 1 - المال شيء عزيز على الكافر :

يبدو أن المال شيء ثمين جداً عند الكافر، فإذا كلفته مالا، أو إذا طالبته بمالٍ قد يستغني عن الهداية كلها، لذلك سيدنا نوح طمأنهم إلى أن استجابتكم لهذه الدعوة، وإيمانكم بالله سبحانه وتعالى، واستماعكم إلي لا يكلفكم مالا .

#### 2 - من علامة الدعية الصادق أنه لا يسأل مالا مقابل دعوته :

والقرآن الكريم في آيات كثيرة تحدّث عن علاماتٍ للصادقين، فمن هذه العلامات  
وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ  
مُهْتَدُونَ (21)

سورة يس

هذه علامة كبرى على صدق الداعي، لا يسألكم أجراً، لا أجراً مادياً ولا معنوياً، لا مباشراً ولا غير مباشر ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾

#### 3 - خشية الله وحده :

علامة أخرى من علامات الصدق في الدعوة إلى الله

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (39)

سورة الأحزاب

إذا خشى الداعي غير الله نطق بغير الحق، وسكت عن الحق، فإذا سكت عن الحق و نطق بالباطل فماذا بقي من تبليغ رسالات الله؟ لم يبق شيء .

إذا العلامة الأولى ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾  
والعلامة الثانية : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ والعلامة الثالثة :

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

سورة يوسف

#### 4 - تبليغ الدعوة على بصيرة وعلم :

فعلامه المتبّع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يدعوكم على بصيرة، فالأمور واضحة تماماً، والهدف من الخلق واضح، هناك انسجام بين الآيات والأحاديث، هناك هدف كبير يوضّحه لك، وهناك

شرائع دقيقة يبينها لك، هناك تعليقات منطقية للعبادات ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ هذه العلامة الثالثة .

5 - أفعال الداعية تشهد له على صدقه :

و أما العلامة الرابعة فقولته تعالى :

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(18)

سورة آل عمران

العالم الصحيح هو الذي يشهد لك عدالته، ويشهد لك أسماؤه الحسنی، فهو يفسر أفعاله بما يتوافق مع أسمائه الحسنی، فمن علامات العالم الصادق ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ ﴾

6 - النجاح في الابتلاء والامتحان :

علامة أخرى

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(124)

سورة البقرة

أي أن النجاح في الامتحان، يُمتحن الإنسان بماله، ويمتحن في صحته، يُمتحن في رزقه فيصبر، ولا يرى إلا الله، ويرى حكمة الله كما يرى رحمة الله عز وجل ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾

7 - الصبر :

علامة أخرى

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ(24)

سورة السجدة

هذه بشارات لك أيها المؤمن :

الصبر والنجاح في الامتحان، و تبيان عدالة الله عز وجل، هذه كلها من علامات الدعوة الصادقة، لذلك: " إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم " .

رواه مسلم من قول ابن سيرين

" يا ابن عمر، دينك دينك، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا "

رواه الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية في علم الرواية، وفي سنده ضعف

فما أكثر الذين مالوا عن طريق الحق، وما أكثر الذين زيّفوا الدين، وما أكثر الذين أدخلوا في الدين ما ليس منه، وما أكثر الذين جعلوا من الدين شيئاً يذوب في الحياة العصرية جعلوه وفق أهوائهم، خُذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا

لا تجلسوا عند كل عالمٍ إلا عالماً يدعوكم من الخمس إلى الخمس، ومن الشكِّ إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد

أخرجه ابو نعيم والديلمي وابن الجوزي

فإذا كنتَ قبل أن تحضر هذه المجالس راغباً في الدنيا، ثم أصبحتَ زاهداً فيها فهذه بشارة لك، ولمن يدعوك إلى الله عز وجل، وإذا كنتَ قبل أن تحضر هذه المجالس تؤثر الرياء على الإخلاص، ثم أصبحتَ مخلصاً فهذه بشارة لك ولمن يدعوك إلى الله عز وجل، وإذا كنتَ قبل أن تحضر هذه المجالس تؤثر العداوة على النصيحة، ثم أصبحتَ نصحاً لله و لرسوله ولعامة المسلمين فهذه بشارة لك، وإذا كنتَ قبل أن تعرف الله متكبراً، ثم تضاءلتَ نفسك فأصبحتَ متواضعاً، فهذه علامة طيبة لك، ولمن يدعوك إلى الله عز وجل، وإذا كنتَ متشككاً من بعض الأمور، ولستَ متأكداً ويخامرك الشكُّ في بعض المعتقدات، ثم بلغتَ مستوى اليقين الناصع كما قال عليه الصلاة والسلام

وَعَظَنَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً دَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةٌ مُودِعٌ، فَمَاذَا تَعْهَدُ لِيُنَا؟ قَالَ : قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعْشِ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، عَصُوا عَلَيَّهَا بِالنَّوَاجِدِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ حَيْثُمَا انْقَبَدَ انْقَادَ

رواه أحمد

فهذه بشارة طيبة لك ولمن يدعوك إلى طريق الله سبحانه وتعالى، إذا ديتك ديتك إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، و لا تأخذ عن الذين مالوا، إن هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾

مجالس العلم والدعوة لا تكلف مالا :

اطمننوا، هل تستطيع أن تقابل محامياً وتستشيريه في موضوع ما من دون أن تدفع له ثمن الاستشارة؟ وهل تستطيع أن تضرب موعداً لدرس خاص في أيّ مادةٍ من المواد الدراسية دون أن تدفع الثمن؟ و هل تستطيع أن تزور طبيباً و ليس في جيبك مال؟ و هل تستطيع أن تتلقّى خدمةً أو استشارةً أو شيئاً من أشياء الدنيا من دون ثمن إلا إذا جئتَ إلى مجالس العلم فتجدها مجاناً والدعوة عامة ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾

قَوْمٌ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴿ إذا كان الإنسان حريصاً على المال أو كان ماله قليلاً فليطمئن، إن حضورك مجلس علم لا يكفك مالا، هذا الذي يدخل إلى دُور اللهو ألا يدفع ثمناً باهظاً، هذا الذي يدخل إلى المسارح ليتلقى الفساد أحياناً ألا يدفع ثمن هذا الدخول؟ إن بيوتني في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عَمَارُهَا، فطوبى لعبيدٍ تطهَّر في بيته ثم زارني، وحقَّ على المزور أن يكرم الزائر، لن تدفع شيئاً، بل سوف يكرمك الله سبحانه وتعالى، وحقَّ على المزور أن يكرم الزائر، أنت تزور الله سبحانه وتعالى، من أقبل عليَّ منهم تلقَّيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودَّتي، أهل شكري أهل زيادتي، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، إذا رجع العبد إلى الله عز وجل نادى منادٍ في السماوات والأرض أن هَيِّئُوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾ مالكم دعوه لكم، لا أسألكم عليه مالا ﴿ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا

1 - الكبراء يستكفون عن مجالسة الفقراء :

هناك عقبتان، العقبة الأولى خوف هؤلاء الكفار في عهد نوح أن يكون هناك التزام مالي، فجاءت الآية، وبشَّرتهم بأن الالتزام المالي ليس موجوداً إطلاقاً، ليس هناك التزام مالي، بقي هناك عقبة ثانية أن هؤلاء الكبراء، هؤلاء الأغنياء، هؤلاء الوجهاء الذين ينغمسون في النعيم، إذا حضروا مجلس نوح عليه السلام يتترفعون، ولا يجالسون الضعفاء، ولا الفقراء الذين يزعمونهم أراذل القوم بالمعنى اللغوي، فقال سيدنا نوح ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

معنى : إِنَّهُمْ مَلَأُوا رِبِّهِمْ

المعنى الأول :

أنا لا أستطيع طردهم، لماذا؟ ﴿ إِنَّهُمْ مَلَأُوا رِبِّهِمْ ﴾ هؤلاء الذين تزرونهم هؤلاء الذين لا ترونهم في مستواكم المعاشي، وهؤلاء الذين تحتقرونهم لقلَّة دخلهم، أو لوضاعة شأنهم، أو لفقرهم، أو لأنهم غير معروفين، بل هم مغمورون ضعفاء أتقياء أخفياء، هؤلاء الذين تتترفعون عنهم ﴿ إِنَّهُمْ مَلَأُوا رِبِّهِمْ ﴾ تكفي هذه، أي سوف يكرمهم الله عز وجل إذا انقلبوا إليه سوف يجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴿ إِنَّهُمْ مَلَأُوا رِبِّهِمْ ﴾ سوف يرجعون إلى الله عز وجل، وسيكرمهم، ويعلي شأنهم، ويرفع

ذكرهم، ويقربهم منه، ولا قيمة لفقيرهم في الدنيا، إن هذه الدنيا عرضٌ زائل، يأكل منه البرُّ و الفاجر، والأخرة وعدُّ صادق، يحكم فيه ملكٌ عادل، والذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

### إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3)

سورة الواقعة

﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هل يجرؤ نبيُّ كريم أن يطرد مؤمناً لفقره، أو لأنه مغمور غير مشهور، أو لأنه من طبقة اجتماعية دنيا، أو لأن له حرفةً يترقَّع عنها الغنيُّ، كل عمل شريف، الشرف أن تطيع الله عز وجل و الدناءة أن تعصيه ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ هؤلاء على موعد مع الله عز وجل، هؤلاء سوف يرحمهم الله، وسوف يكرمهم، وسوف يصبحون في الآخرة أعلاماً، وسوف يتألق نجمهم في سماء الآخرة، هؤلاء ملوك الدار الآخرة ﴿ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ هذا المعنى الأول .

المعنى الثاني :

﴿ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ نحن نحكم بالظاهر، والله يتولَّى السرائر، يبدو لي منهم أنهم صادقون، أنهم مخلصون، أنهم مطيعون، و لا علم لي بما تنطوي عليه نفوسهم ﴿ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ الله يحاسبهم لا أنا، أنا أحكم بالظاهر، والله يتولَّى السرائر ﴿ إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾

2 - المترقِّع عن الناس جاهلٌ :

﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ هذا الذي يترقِّع عن الناس، وهذا الذي يستعلي عليهم، هذا الذي يرى نفسه فوقهم، هذا الذي تأبى نفسه أن يجلس بجانبهم، هذا جاهل، ﴿ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ .

النبي الكريم أشد الناس تواضعاً :

مَنْ أَنْتُمْ؟ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَصَابَتْهُ الرَّعْدَةُ مِنْ شِدَّةِ الْهَيْبَةِ  
أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَأَيْصُهُ، فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسُنْتُ  
بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ

ابن ماجه

ودعاه صحابيٌّ جليل إلى خبزٍ وخلٍّ ما قولك؟ إذا دُعيت إلى وليمةٍ، وقَدَّم لك الداعي خبزاً وخلّاً، وقال لك تفضّل، ما قولك؟ فقال عليه الصلاة و السلام :

نَعَمْ الْأُدْمُ، أَوْ الْإِدَامُ الْخَلُّ

مسلم عن عائشة

قال عليه الصلاة و السلام من باب التواضع قَالَ :

لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ، أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ

رواه البخاري

حينما دخل مكة فاتحاً دخلها مُطأطئ الرأس، وحينما سمع رجلاً يقول لرجل: يا ابن السوداء قال: إنك امرؤ فيك جاهلية، هذا هو الإسلام ﴿ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ هذا الذي يرى نفسه فوق الناس هو جاهل، ضع في نفسك هذه الحقيقة هذا الذي تراه دونك قد يكون فوقك يوم القيامة، هذا الذي تراه دونك مالاً، أو دونك جاهاً، أو دونك صحةً، أو دونك شأنًا، قد يكون فوقك يوم القيامة، من يدري؟ ﴿ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ من علامة المؤمن التواضع، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، والمتكبر جاهل، لأنه لم يرَ عظمة الله عز وجل

﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) ﴾

سورة هود

وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

إن طردتهم لأرضيكم أحمونني من الله عز وجل؟

أرسل رجلٌ إلى سيدنا عمر بن الخطاب كتاباً قال فيه : << أما بعد، فإن أناساً قد اغتصبوا مالاً ليس لهم، ولست أقدر على استخراجهم منهم إلا أن أسهمهم بالعذاب، فإن أذنت لي فعلتُ، فقال سيدنا عمر: أتستأذني في تعذيب بشر؟ - أنا أستأذن في هذا الموضوع؟ وهل أنا لك حصن من عذاب الله؟ وهل رضائي عنك ينجيك من سخط الله؟ أقم عليهم البيّنة، فإن قامت فخذهم بالبيّنة، ثم ادعهم إلى الإقرار، فإن أقرّوا فخذهم بإقرارهم، ثم ادعهم لحلف اليمين، فإن حلفوا فأطلق سراحهم، وإيم الله، لأن يلقوا الله بخياناتهم أهون من أن ألقى الله بدمائهم >>، من أنا حتى تستأذني في تعذيبهم ﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ ﴾ إذا استعليت على إنسان فهذا ظلم .

يبدو أن رجلاً غنياً طرق بابَه سائل، وكان يأكل دجاجاً، فهمت زوجته أن تعطيه شيئاً من الدجاج، فنهرها، و قال: اطرديه، فطرده تنفيذاً لأمره، وبعد سنوات عدّة نشب خلافٌ بين الزوجين، و طلقها، و أكرمها الله بزواجٍ آخر أفضل منه، وعاشت معه سنوات، وبينما هما جالسان يتناولان دجاجاً إذ طرق الباب طارق، فذهبت لتفتح الباب، فعاتت مضطربة، قال: من الطارق؟ قالت : سائل، لماذا اضطربت؟ قالت أتدري من السائل؟ إنه زوجي الأول، فقال: أتدريين من أنا؟ أنا السائل الأول. وهذا مثال آخر: أرادت امرأةٌ أن تغيظ ضرّتها فقالت لها: في بطني ولد، وعلى يدي ولد، طبعاً ذكر صبي، وكذلك على الأرض ولد، لها ثلاثة صبية، وضرّتها عاقر لا تلد، لم تمض سنوات حتى مات

الولد الأول والثاني والثالث، ورزق الله ضرَّتَهَا صبيّاً أول و ثاني وثالث، ﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ ﴾ إذا رددت سائلاً هل تعرف ما سيكون؟ الله أعلم، الذي أعطاك المال يأخذه منك، أتدري من السائل؟ قالت: زوجي الأول، أتدريين من أنا؟ أنا السائل الأول ﴿ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31)

سورة هود

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ

1 - الأنبياء أصحاب صدق وموضوعية مع الناس :

انظر إلى الأمور النظرة الموضوعية، هذا الذي يوهم الناس أنه فوق البشر إنما هو مرآة ظالم ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ لا أملك شيئاً، لست غنياً ولا أستطيع أن أمنح الغنى لأحد، الخزان ليست عندي، هي عند الله عز وجل

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)

سورة الحجر

2 - الأنبياء لا يعلمون الغيب :

﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ هذا ادعاء، لا يعلم الغيب إلا الله مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ

رواه أحمد

ومن أتى ساحراً فلم يصدقه لم تُقبل له صلاة أربعين صباحاً، لأنه لا أحد يعلم الغيب إلا الله .

أقرأ أحياناً في بعض الدول عن شخصيات كبيرة جداً تذهب إلى بعض المُنجمات، وتسالها عن المستقبل، وقد يحمل هذا السائل دكتوراه، شيء مضحك، أن يكون الإنسان محصلاً شهادةً عاليةً في الدنيا، ويذهب إلى منجمٍ ليطمئن من خلال كلامها على مستقبله ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ أنا لا أنكر بشريتي أنا بشر، أجوع وأعطش، وأتعب، وأمشي في الأسواق، وأكل الطعام، اللهم إني بشر أرى كما يرضى البشر، و أغضب كما يغضب البشر، وحينما كان الغزو في أيام الصيام أفرط النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه بشر، صلى مرة قاعداً لأنه بشر، غضب مرة لأنه بشر، اللهم إني بشر أنسى كما ينسى البشر



إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَفْضَى لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ

متفق عليه

سيدنا نوح أعطى نفسه حجمه الحقيقي، لسئ غنياً، ولن أستطيع أن أمنح الغنى لأحد، و لا أعلم الغيب، ولا أدعي أنني فوق البشر، إنني بشر.

لو أن رجلاً يبتغي الرفعة عند الناس، وقال له الناس: هذه الظاهرة من أجلك، تقول له: بارك الله بك يا ولدي، يؤكدها، ويرضى بها ليزداد رفعة عند الناس، لكن النبي عليه الصلاة والسلام قال: لا، هذا هو الحجم الحقيقي، هذا الذي يدعوك إلى الله، لا يعلم الغيب، ولا يملك لك نفعاً ولا ضرراً، و يخاف إن عصى ربّه عذاب يوم عظيم، استمعوا لآيات القرآن الكريم

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)

سورة الأنعام

﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۗ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)

سورة الأعراف

هذا حجم النبي، فهل يستطيع ولي أن يدعي حجماً أكبر من هذا؟

3 - ليس هناك رجل فوق النبي مهما كان :

هناك قصص كثيرة لا طائل منها تُروى عن بعض العلماء، إنها ليست من عندهم، إنها لُفقت على ألسنتهم، وهم بريئون منها، مثلاً يقولون: هناك بعض العلماء إذا نظر إلى إنسان اهتدى، هذه لم يملكها النبي الكريم

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)

سورة البقرة

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)

سورة القصص

وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لا يهدي من أحب، أفيأتي رجل من أتباعه ينظر في الرجل فيهديه؟! ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31)

سورة هود

وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا

#### 1 - الكبراء مخطئون في تصوراتهم :

هؤلاء الكبراء يحسبون أن الدنيا لهم والآخرة لهم، ويحسبون أن الله سبحانه وتعالى يحبهم دون سواهم، حتى إذا ذهب أحدهم في نزهة إلى مشارق الأرض، ومغاربها، قال لك بالحرف الواحد: إذا أحبَّ الله عبده أراه ملكه، وقد يذهب من فندق إلى فندق، ومن معصية إلى معصية، ومن شبهة إلى شبهة، ويقول لك: إن الله يحبني، هؤلاء لا يحتملون أن يكونوا عند الله عز وجل، شأنهم كشأن غيرهم، من أنا؟

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَعْرِو لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)

سورة المائدة

التواضع علامة الإيمان، قال الشاعر:

فانظر إلى الأحمال و هي حجارة لا تلت فصار مقرها في العين

﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ ﴾ هؤلاء الذين تنظرون إليهم بازدراء ﴿ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

2 - شأن العباد وأمرهم إلى الله تعالى وحده :

هذا من شأن الله عز وجل، لا تسألني عن شخص ما، جيّد أم سيء، هذا من شأن الله لا من شأنني، من يعلم الغيب إلا الله؟ من يعلم ما في نفسه ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أحدُ الأصحاب الكرام في بعض الغزوات تبع مشركاً، وحينما كان السيف فوق رقبته قال: أشهد أن لا إله إلا الله فقتله، بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فغضب غضبا شديداً، فقال: يا رسول الله قالها تقيّةً لينجو من الموت، قال: أشققت على قلبه؟ أشققت على صدره؟ نحن نحكم بالظاهر، و الله يتولّى السرائر، فلا يعلم ما في النفوس إلا الله .

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32)

سورة هود

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْذَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

1 - من وسائل معارضة الكفار للأنبياء إغلاق باب النقاش :

أي بالغت في الجدل وبالغت في الخصومة، ومللنا من هذه الموضوعات، دعنا منها، و ضع حداً لها، وأقول باب النقاش فيها إلى متى؟ ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

2 - من وسائل معارضة الكفار للأنبياء العنف والتهديد :

وحيثما يفلس الإنسان فكراً يلجأ إلى وسيلة أخرى، إما إلى التهكم، وإما إلى الضرب، هذا الذي يفقد الحجّة يلجأ إلى العنف، ولا يستخدم العنف بعد المناقشة إلا من خسر المناقشة، لذلك يقول الإمام الغزالي: ما ناقشني عالمٌ إلا غلبته، ولا ناقشني جاهلٌ إلا غلبني! لأنه لا يناقش وفق أسسٍ صحيحة ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

3 - من وسائل معارضة الكفار للأنبياء طلب العذاب من الأنبياء :

من أنا؟ أنا لا أقدر أن آتيكم بما يعدكم الله، أنا عبدٌ فقير، ومخلوق عاجز، ولكن هذا بيدي الله عز وجل

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33)

سورة هود

قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ

1 - العذاب بيد الله نوعاً وكماً وزماناً ومكاناً ومعذباً :

الله عز وجل حكيم، ويعرف متى يرسل العذاب؟ ومتى يوقفه؟ ومتى يمنعُه؟ هو الذي يتصرف ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾

2 - الله لا يعجزه شيء :

أمرُ الإنسان متوقف على الله :

إذا كانت آلة كهربائية فيها مفتاح كهربائي، فمهما علا صوتها فبضغطة زرٍ توقّفها، وهكذا الإنسان مهما علا وتكبر، ومهما بدا للناس قوياً إذا قطع الله عنه الإمداد ثانيةً واحدة أصبح جنةً هامة!! فهذه الحركة من الله عز وجل، وهو الذي أمّدك بها، فإذا قطع عنه هذا الإمداد ثانيةً واحدة أصبح الإنسان جنةً هامة ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾.

يُزوى أَنَّ سَيِّدَنَا سَلِيمَانَ - هَذِهِ قِصَّةٌ - جَاءَ إِلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ، فَصَارَ مَلَكُ الْمَوْتِ يُحَدِّقُ فِي هَذَا الرَّجُلِ تَحْدِيقًا غَرِيبًا، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ هَذَا الَّذِي يُحَدِّقُ فِيَّ؟! فَقَالَ: هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ!! فَاثَخَّلَعَ قَلْبُهُ خَوْفًا، وَقَالَ: حُدَّنِي إِلَى أَقْصَى الدُّنْيَا، وَقَدْ أَوْتِي الرِّيحَ، فَنَقَلْتُهُ إِلَى الْهِنْدِ، وَهَنَّاكَ فَبُضِئَتْ رُوحُهُ، فَلَمَّا سَأَلَ نَبِيَّ اللَّهِ سَلِيمَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ لِمَاذَا فَعَلْتَ هَذَا؟ وَحَدَّقْتَ فِيهِ هَذَا التَّحْدِيقَ!! فَقَالَ: عَجِبْتُ لِلأَمْرِ، فَأَنَا مَوْكَلٌ بِقَبْضِ رُوحِهِ فِي الْهِنْدِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ هُنَا قَلْتُ: مَاذَا يَفْعَلُ هُنَا؟! ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ هُوَ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَغْزُوا الْفِضَاءَ، وَنَجَحَتْ لَهُمْ سِتٌّ أَوْ سَبْعَ رِحَالَاتٍ، وَبَعْدَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ ثَانِيَةً مِنْ إِقْلَاعِهِمْ بِرِحْلَةٍ جَدِيدَةٍ أَصْبَحَتْ الْمَرْكَبَةُ الَّتِي وَزْنُهَا ثَلَاثَةُ آلَافِ طَنِّ كِرَّةً مِنَ اللَّهَبِ!! ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فِي بَعْضِ الْمَعَامِلِ مَعَامِلُ الصُّلْبِ يُنْقَلُ الْحَدِيدُ الْخَامُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ بِرَافِعَةٍ مَغْنَاطِيئِيَّةٍ، عِبَارَةٌ عَنْ دَائِرَةٍ مِنَ الْحَدِيدِ لَفَّ حَوْلَهَا وَشِبَعَةٌ، فَإِذَا سَرَى التِّيَّارُ فِي الْوَشِيْعَةِ أَصْبَحَ هَذَا الْحَدِيدُ مَمَّغْنُطًا يَحْمِلُ عَشْرَةَ أَطْنَانَ، إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ إِنْزَالَ قِطْعَةٍ مِنْهُمَا أَوْ تِيَّتٍ مِنْ قُوَّةٍ مِنْ شِدَّةِ الْجَذْبِ، فَإِذَا ضَغَطَ عَامِلٌ هَذِهِ الرَّافِعَةَ الزَّرَّ وَقَطَعَ التِّيَّارَ الْكَهْرِبَائِيَّ، فَهَذِهِ الْأَطْنَانَ الْعَشْرَةَ تَقَعُ فُورًا، ضَغْطَةً زَرًّا، فَهَذَا الَّذِي تَرَاهُ كَبِيرًا وَقَوِيًّا إِذَا قَطَعَ اللَّهُ عَنْهُ الْإِمْدَادَ ثَانِيَةً وَاحِدَةً أَصْبَحَ جِئَةً هَامِدَةً، فَلِذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ مَهْمَا عَلُوتَ، وَأَيْنَمَا ذَهَبْتَ .

لَا تَأْمَنُ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ      وَإِنْ تَمَنَّعْتَ بِالْحِجَابِ وَالْحَرَسِ  
فَمَا تَزَالُ سَهَامَ الْمَوْتِ نَافِذَةً      فِي جَنْبٍ مَدْرَعٍ مِنْهَا وَمَتْرَسِ  
أَرَاكَ لَسْتَ بِوَقَافٍ وَلَا حَازِرٍ      كَالْحَاظِبِ الْخَابِطِ الْأَعْوَادِ فِي الْغَلَسِ  
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا      إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

أبو العتاهية-العصر العباسي

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34)

سورة هود

وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ

1 - تأويل الآية :

هذه الآية من الآيات المتشابهات تحتاج إلى تأويل دقيق، هذا الإنسان إذا عرض عن الله سبحانه وتعالى امتلاً قلبه شهواتٍ خبيثةً، فإذا أصرَّ على هذه الشهوات، وكانت هذه الشهوات حجاباً بينه وبين الله سبحانه وتعالى أصبحت هذه الشهوات وقراً في أذنيه، وغشاً على عينيه، وإنَّ أحمك ما يكون أن تخرج

هذه الشهوات إلى حيز التنفيذ، فإذا رأيت أن ابنك تعلق بهذه اللعبة، ولن يسمع منك كلمة، ولن يفتح كتاباً، ولن يذهب إلى مدرسة، ما لم يُفكك هذه اللعبة، ويستمتع بها، أنت كأبٍ مربٍ ترى من الأنسب أن تُعطيَهُ سؤله لتشفيه من هذه الشهوة، فإذا شفي منها عندئذٍ يُصغي إليك، فقد تقتضي حكمة الله سبحانه وتعالى لإنسانٍ أصرَّ على المعصية، وتشبَّت بها، وجعلها كلَّ همِّه، أن يُعينه الله على تنفيذ هذه الشهوة، في أثناء هذه المرحلة، هذا الإنسان أصمّ أعمى لا يستجيب لنصيحة، ولا يصغي إلى خير ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾

2 - لا ينفع نصح لمن تعلق بالدنيا وشهواتها :

أي إذا تعلقتم بالدنيا، واستحكمت الشهوات في نفوسكم إلى درجة أنها أصبحت غشَاءً على أعينكم، ووقراً في أذانكم، عندئذٍ نُصحي لا ينفعكم ولا يُجدي، ولن تتأثروا به، ولن تستجيبوا له، والله سبحانه وتعالى هو الذي يتولَّى مُعالجتكم بإخراج هذه الشهوات من نفوسكم، فهذا الذي امتلأ قلبه من شهوات الدنيا الخسيسة، ولتكن الزنا مثلاً، لن يستطيع أن يستمع إليك حتى تخرج هذه الشهوة من قلبه ونفسه، يسوقه الله إلى زانية مثله، ثم يأتي العقاب الأليم، فيصاب بالإيدز ربّما يستفيد بعدها، وإذا أخرج الإنسان شهوته التي أصرَّ عليها، ثم جاءه العلاج الأليم ربّما تاب، وربّما أصغى للحق، وأحياناً ترى شخصاً في عمى، وشهوته صارت حجاباً، ولا يعي خيراً، ويرى ذاته مضحمةً، ولا يرى معها أحداً، هذا لا يُجديه النصح حتى تخرج هذه الشهوة الخسيسة من نفسه عندئذٍ يُصغي ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾

3 - إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ

بمعنى يُخرج هذه الشهوات التي امتلأت قلوبكم بها، أحياناً قد يتجمّع قيح تحت الجلد، ماذا يفعل الطبيب؟ يضع مرهماً أو دواءً ليزيد هذا التجمّع تمهيداً لشفق الجلد، وإخراج القيح كله، وهذه العملية البسيطة مثل بساط لما يفعله الله في النفوس، تمتلئ النفس شهواتٍ خسيسة، وبصرٍ عليها الإنسان، ويتشبَّت بها، ويضعها حجاباً أمام عينيه ووقراً في أذنيه، ولا يعي على خير، ويسوق الله له الشيطان، ويزين له هذه الشهوة حتى تخرج منه فيشفي منها، وكم من إنسانٍ تاب بعدما أخرج ما في نفسه من شهوات، وكم من إنسانٍ تاب بعد أن استراحت نفسه من ثقل الشهوات التي يحملها ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ نصائح الطبيب الوقائية بعد أن يقع المرض الخطير لا تُجدي، الآن يُجديه أن يدخل إلى المستشفى .

إذا كان في بيتٍ من البيوت مُبيد زراعي، وكان في متناول أيدي الأطفال، وقد شرب بعض الأطفال هذا المُبيد، وبدأ فعلُ هذا السمِّ القاتل في الأحشاء، في هذه اللحظة هل ينفع هذا النَّصْح؟ وهل يُجدي العتاب؟ ماذا ينبغي أن نعمل؟ يجب أن نأخذ هذا الطِّفل إلى المستشفى، ونُجري له غسل معدة،

هذا الكلام وهو النَّصْح، متى يجب أن يكون؟ قبل أن يشرب هذا المبيد، ولكن بعد الشرب الكلام، والعتاب والنَّصْح لا يجدي، إلا أن قبله قد يجدي، ضَع هذا المبيد في مكانٍ بعيد، انتبه لمكان وجوده، وحين استعمله، فهذا الذي امتلأَتْ نفسه شَهَوَاتٍ لا يُجدي معه إلا أن تخرج هذه الشهوات من قلبه ونفسه كغسيل المعدة تمهيداً لِتَوْبَتِهِ، فقد ترى طالباً غافلاً عن الدراسة والعلم، والنتائج والمستقبل، وهو غارق في بعض الشهوات، هذا لن يُعطيك أذناً صاغية إلا بعد ضربة قاسية من قِبَلِ الله عز وجل، وكذلك منحرف إذا أودى به انحرافه إلى عُقُوبَةٍ بالغة عندئذٍ يُصغي إليك، وهذا هو المعنى الدقيق لهذه الآية .

أما أن تظنَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يُعَوِّيَ الإنسان من دون ذَنْبٍ ارتكبه فهذا لا يليق بحضرة الله سبحانه وتعالى، ولا يتناسب مع أسمائه الحسنى، والدليل قوله تعالى :

**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)**

سورة الصف

لأنهم فاسقون زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، فهذه الآية تقترب من هذه الآية ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾

**هُوَ رَبُّكُمْ**

## 1 - دِقَّةُ الْقُرْآنِ :

دِقَّةُ الْقُرْآنِ هو ربكم فإذا قلنا: شاءت الأمُّ أن تمنعَ ابنها طعامها اللذيذ فهي أمه، أقرب الناس إليه، وأكثرهم عطفاً عليه، وأكثرهم حناناً، وما من أحدٍ يحبه كحبها فهي أمه، فالتعقيب هنا: هو ربكم، ولم ينتبه بعض الناس إلى هذا التعقيب ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ يعني هو الذي يزعاكم، هو الذي يُرَبِّيكم، هو الذي يُرَبِّي نفوسكم، هو الذي يضيق عليكم من أجل صلاحكم، هو الذي يُذيقكم هذا العذاب من أجل ألا تقعوا في عذاب أكبر ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

## 2 - إغواء رب العالمين تمهيد للشفاء :

كلمة ربكم تكفي لإلقاء الضوء على كل هذه الآية، لو فرضنا أن إنساناً صار معه التهاب الزائدة، ماذا يفعل أقرب الناس إليه؟ وأشدّهم عطفاً عليه؟ أكثرهم رحمةً به؟ يأخذه إلى المستشفى الذي يستدعي طبيباً ماهراً لفتح بطنه يُخدره فيُعْمَى عليه، ويفتح بطنه ويسيل الدم، تؤخذ هذه الزائدة وتسنأصل، وهذا ما يفعله الأب الرحيم، والأم الحنون، وهذا ما يفعله الأخ، فالإغواء من قِبَلِ الله تعالى هو الشفاء فأخراج هذه الشهوات تمهيداً للشفاء، ففي هذه المرحلة مرحلة إجراء العملية الجراحية لا ينفَعُ النَّصْحُ ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

والحمد لله رب العالمين